مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلام على أصحابه البررة الميامين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.اللهم وفقنا وسائر المشتغلين في حقول الهداية والمعرفة للعلم والعمل الصالح بمحمد وآله الطاهرين.

وبعد:نهج البلاغة وما أدراك ما نهج البلاغة فهو الكتاب الذي يطابق اسمه محتواه، والكتاب المشار اليه قبل أي كتاب بعد كتاب اللهﷻ وسنة نبيهﷺ، والكتاب الذي توالت عليه الدراسات الإسلامية وغير الإسلامية ففيه العلم والحلم، وفيه الفكر المعاصر والفكر القديم. وفيه الأدب واللغة، بل لا يبالغ لو قيل فيه أغلب العلوم.

فالنهج الذي أعده الشريف الرضيرحمه الله، جمعاً لكلام أمير المؤمنين وسيد الموحدين علي بن أبي طالبعليه السلام، فقد عزم رضوان الله عليه على ذلك مشمراً عن سواعده باذلاً مجهوده بجمع خطب أمير المؤمنينعليه السلام وكتبه، مرتباً لها ترتيباً جميلاً يستوعبه العام والخاص. حتى جاء من بعده ما بين مستدرك وشارح حتى أُلفت الكتب حوله من كتب أو شراح نهج البلاغة وليس ذلك إلا احساس العلماء والمفكرين و بضرورة هذا الكتاب الجلي العظيم؛ بل هنالك من استدرك على النهج ومن تممه ككتاب (تمام نهج البلاغة) وهو آخر المستدركات حول النهج، وأُسست المؤسسات المتخصصة حول نهج البلاغة

بالإضافة إلى المواقع الإلكترونية وكذلك البرامج الكومبيوترية فممن كتب دراسات حول شروح نهج البلاغة:المحدث النوري قدس سره المتوفى (١٣٢٠ هـ) فقد ذكر شروح نهج البلاغة في خاتمة مستدركه، والسيد محسن الأمين العاملي قدس سره المتوفى(١٣٧١ هـ) صاحب اعيان الشيعة ذكر ذلك في أعيان الشيعة، والسيد هبة الدين الشهرستاني قدس سره المتوفى(١٣٨٦ هـ) ذكر ذلك في كتابه (ما هو نهج البلاغة)، والعلامة الأميني قدس سره (المتوفى ١٣٩٠ هـ) فقد أسرد شروح نهج البلاغة في كتابه العظيم (موسوعة الغدير) عندما ترجم للشريف الرضي قدس سره. وغيرهم الكثير ممن كتب وتناول شروح نهج البلاغة

وما نحن بصدده الآن هو دراسة حديثة حول المصطلحات المذكورة في نهج البلاغة والتي قام بإعداداها الأستاذ القدير علي الخباز رئيس تحرير جريدة صدى الروضتين، فقد تناول دراسة: (بلاغية المفردة والنهج الرصين، وفن السجع في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام، والتشبيه، وفن الإختزال، والتوثيقية، وعلم الدلالة، والترادف، والاسلوبية، واستخدامات كان، والصورة الفنية، والمكانية، والاستفهامية، والألوان، والتناص) وسنترك لكم قراءتها، آملين منكم الدعاء للجميع بالتوفيع للعلم والعمل الصالح بمحمد وآله الطاهرين.

ومن الله التوفيق

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الإعلام/ وحدة الدراسات

بلاغية المفردة والنهج الرصين

عندما تكون المفردة البلاغية منسجمة داخل الخطاب الفكري، وخاصة حين تنضوي تحت راية المجاز، التي بدورها تمثل التجسيد الواعي للإمكانية البلاغية، وجوهر المحتوى الفكري قد يأخذنا الانبهار لتوالي مثل هذه المفردات، التي لاشك إنها تحمل الأصالة البلاغية. وأمام هذه (الإندهاشية)، يمتلكنا إحساس بالقصور عن فهم المفردة المبدعة، وقد لا يكون الزمن هو الفارق الوحيد بين تاريخ التحرير الخطابي، ولحظة القراءة، وإنما تخلف الأجيال عن احتواء مفاهيم القصد الأولية - تغيير المنطوق نفسه، بتأثرات العجمية المستوردة والتي تشابكت داخل لغتنا الأم -والأهم من هذا، هو فارق الوعي بين شخصية المنتج المبدعة، وشخصية القارئ، وينعكس أيضا على تحويل الذات الخاصة الى منتوج عام، ليصبح الناتج؛ أن البيئة التي احتوت المنتوج، هي ليست بنفس بلاغة وصفاء البيئة التي احتوت القراءة الآن على الأقل... ولا اعتقد إن ثمة صعوبة كان يعاني منها المتلقي الشفهي في القرن الهجري الأول، لفهم معنى بعض مفردات قول الإمام علي عليه السلام حين يقول:

«..**فَلتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغرَ منْ حُثَالَة الْقَرَظ وقُرَاضَة الجَلَمِ**...»[1].

---

[1] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٢/ ص١٨٣/خطبة ٣٢/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

الحثالة: تعني القشر، وما لا خير فيه. والقرظ: ورق السلم أو ثمر السنط، نوع من الشجر، كان يدبغ بثمره. والجلم بالتحريك: مقراض يجز به الصوف، وقراضته: تعني ما يتساقط عند القرض والجز. فهو يطالبهم باحتقار الدنيا، بعد التقسيم المتقدم، لم يصيبوا منها إلا العناء، وكل ما كان شأنه أن يأوي الأشرار، ويجافي الأخيار، فهو أجدر بالاحتقار.

ومثل هذا النمط البلاغي يتميز به سيد البلغاء الإمام علي عليه السلام دون سواه، حيث ارتقى التعامل المفرداتي الى خصوصية الأسلوب، كنموذج بلاغي متقدم، وبعد هذا كله يأتي من ينسبها الى معاوية، تشبثا بخلق تاريخ لشخصية هزيلة، عُرفت بالمكر والدهاء، وليست في البلاغة. وإذا كان من يعتقد إن لديه البلاغة الممكنة، التي لا نقدر أن ننكرها عليه، لكننا نؤمن ويؤمن معنا اغلبهم، إن مستوى البلاغة التي بحوزة معاوية، لا تصل في كل الأحوال إلى نوع من التشابه، أمام بلاغة مولاي الإمام علي عليه السلام، وهذا الاعتراض ورد عند الكثير ممن رد به على مثل هذا التجاوز الجائر، ومنهم الشيخ محمد عبده في شرح نهج البلاغة، ويقول: أين الذهب من الرغام، والعذب من الأجاج.

وقد دل على ذلك الدليل الخريت والرغام: يعني التراب، والخريت الحاذق في الدلالة. وقد نقد الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ، حيث ذكر في كتابه (البيان والتبيين) ونسب هذه الجمل التي ذكرناها الى معاوية، وتصل به حد الجفاف، انه يعقب على ما كتب ليضمر المعنى الملتوي، فيقول: وهو بكلام علي أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس وبالأخبار، عمّا هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف.

إذن هو أول من سعى لكشف مخادعته، وبين اختلاف المفهومين بين معاوية وعلي عليه السلام في إمكانية الوعي العام، بتصنيف الناس. وبعد هذا دل على التناقض في حيثيات استيعاب

الهم العام بين الشخصيتين، فكيف يشكو القهر وبهذه الدقة من هو بنفسه يسوم القهر للناس؟ وكيف يشكو الإذلال، وبهذه الدقة من يسوم الى الناس الإذلال؟ ويعود بعد ذلك كله ليقول، هو بنفسه وليس سواه: ومتى وجدنا معاوية يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد؟ ولا اعتقد إن هوية مثل هذا التعامل البلاغي مع المفردة، وقوة الحبكة اللغوية، التي يجلها الجاحظ نفسه، ويبطنها لعنة الحقد، وعدم الصحوة أمام مغزى الأمانة والإخلاص، في نقل الواقع كحقيقة لابد منها، فهو يقول عليه السلام في إحدى خطاباته:

«..**وكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَة فَأَنتمْ لا تَعْقلُونَ! مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي**»[1].

والمألوسة: تعني المخلوطة بمس من الجنون. والسَجيس: كلمة تقال بمعنى أبدا، وسجيس أصله من سجس الماء: بمعنى تغير وكدر، وكان أصل الاستعمال: ما دامت الليالي بظلامها. أي مادام الليل ليلا، ويقال سجيس لا وجس بفتح الجيم وضمها، وسجيس عجيس بمعنى أبدا: أي أنهم ليسوا ثقات عنده بحيث من الممكن أن يركن إليهم بها وقوله عليه السلام:

«**وأيمُ الله إِنِّي لأظُنُّ بكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الوَغَى واسْتَحَرَّ المَوْتُ قَدِ انفَرَجتمْ عَنِ ابْنِ أَبي طَالِبٍ انفِرَاجَ الرَّأسِ..**»[2].

فنحن بالتأكيد سنحتاج الى تفسير معنى مفردة حمس: التي تأتي بمعنى اشتد. والوغى: الحرب. واستحر: بلغ غاية حدته. أو قوله انفراج الرأس: أي انفراجا لا التئام بعده، فان الرأس إذا انفرج عن البدن، أو انفرج احد شقيه عن الآخر لم يعد للالتئام..

---

[1] المصدر /ج٢/ ص٢٠٥/خطبة: ٣٤.

[2] المصدر/ ج٢/ص٢٠٩.

ويقدر من بين تلك الاستخدامات (المفرداتية) الصعبة، أن يكوِّن جملا سردية فهو يقول عليه السلام:

«أَنْتَ فَكنْ ذَاكَ إِنْ شئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاش الهَامِ وتَطِيحُ السَّوَاعِدُ والأَقْدَامُ ويَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ ما يَشاءُ»[1].

وهذا هو الخطاب العام، لكل من يمكن عدوه من نفسه، ويروى انه كان خطابا موجها للأشعث بن قيس، عندما قال له: هلا فعلت فعل ابن عفان؟ فأجابه بقوله:

«إن فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له..»[2].

والمشرفية: هي السيوف التي تنسب الى مشارف قرى من ارض العرب، تدنو من الريف ولا يقال في النسبة إليها مشارفي..

[1] المصدر/ج٢/ ص٢١٣/خطبة: ٣٤.

[2] نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص٥٤/هامش: ٧/ ط: بيروت- دار الكتب العلمية.

فن السجع في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام

قد لا يسمح موضوع كبير مثل هذا الموضوع، أن يُكتب على عجالة أو بمجرد قراءة سطحية، أو يُختصر في مساحة صغيرة من صحيفة. ولكننا حين نكتبه نتأمل أن ينفتح الموضوع بمرايا التعقيب من سوانا. وتلك حسنة الكتابة الصحفية. والسجع كما هو معروف نمط كتابي من ضمن الأنماط الكتابية القديمة المعروفة، والتي ترتكز على توحيد قافية نهايات الجمل. وهو كما معروف أيضا نوع من أنواع البديع من المحسنات اللفظية، والتي تعني في الدراسات النقدية الحديثة، سبل الجمالية، وهي تهتم بطرق التوصيلية إلى المتلقي. وغاية السجع إعطاء الجرس الموسيقي الشفاف، والذي سينتج زخما شعوريا، ولذة قرائية محببة عند التلقي، ويسهل عملية الحفظ. وخصوصية استخدامه عند ابلغ الفصحاء، وأفصح البلغاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يتبنى عدة سمات، تختلف عما نقرأه عند معظم أهل الخطابة في اغلب الموروث العام، كونه كتب دون تكلف في الأداء، وهذه تعني أشياء كثيرة في مرتكزات النقد الأدبي.يقول عليه السلام:

«وإِيَّاكَ والْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ..»[1].

[1] نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص٣٢٢/كتاب: ٥٣/ ط: بيروت- دار الكتب العلمية.

والتزيد كالتقيد: إظهار الزيادة في الأعمال عن الواقع منها في معرض الإفتخار. فالتكلف يعني قسر المعنى والتأثير على بنيته، والذي يسبب خلخلة واضحة في انسيابية الجملة أيضا. ومثل هذه الانطباعات النقدية، ليست لها علاقة في الأمور الولائية، بل هي تأمل في النتاج البلاغي، لها براهينها وأدلتها النصية، أي داخل النص البلاغي المعروض.

فنلاحظ هناك خصوصية تامة متفردة، لكونه يعتني بالانفتاح على عمق المعنى الذي يتفرع الى عدة شؤون، كالمرجعية التاريخية للأحداث، أو المرجعية الواقعية، أو التضمين القرآني، وأحاديث نبوية.

وربما يأخذ الاستعارات النصية مع ذكر المصدر، ففي إحدى خطبه لأهل النهروان، والنهروان: اسم لأسفل النهر، بين الخافيق وطرفاء، على مقربة من الكوفة، في طرف صحراء حروراء، ويقال على ذلك تأمر. وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطئوه في التحكيم قد نقضوا بيعته وجهروا بعداوته، وصاروا له حربا، واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع، وهؤلاء يلقبون بـ(الحرورية) لما تقدم أن الأرض التي اجتمعوا فيها كانت تسمى حروراء، وكان رئيس هذه الفئة الضالة هو حرقوص بن زهير السعدي ويلقب بـ(ذي الثدية) تصغير ثدية. خرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام يعظهم في الرجوع والعودة الى بيعتهم، فأجابوا النصيحة برمي السهام، وفتك أصحابه عليه السلام. فأمر بقتالهم وتقدم القتال بهذا الإنذار حيث يقول:

«فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ وبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ»[1].

[1] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٢/ ص٢٣٣/خطبة: ٣٦/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقبل الدخول الى القصد البحثي عن مكامن السجع، سنجد إن مثل هذا العمق المهيأ بتقوية الجرس الخطابي وليس لتخفيفه، كما يفعل معظم أهل البلاغة. وهذا سيحتم تغيير بنية الخطاب العام. نحن حذرون في الموضوع، ولا نريد أن ندخل في هذيان المقارنات، ولكننا نجد إن شدة التعبير ستحتاج الى عناوين لا تتقبلها خفة النطق مثل العتاب، الغضب، الوعيد.. وصرعى: تعني جمع صريع، أي طريح، أي إني أحذركم من اللجاج في العصيان، فتصبحوا مقتولين، مطروحين، بعضكم في أثناء النهر، وبعضكم بإهضام هذا الغائط. والإهضام: جمع هضم، وهو المطمئن من الوادي. والغائط ما سفل من الأرض، والمراد منها المنخفضات.

يقول الإمام علي عليه السلام في تتمة هذه الخطبة:

«قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ واحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ وقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ»[1].

أي صرتم إلى متاهة ومضلة، لا يدع الضلال لكم سبيلا إلى مستقر من اليقين، فأنتم كمن رمت به داره، وقذفته. ويُقال تطاوحت به النوى: أي ترامت. وقد يكون المعنى: أهلكتكم دار الدنيا...

والمقدار: هو القدر الإلهي، واحتبلكم: أوقعكم في حباله، فانتم مقيّدون للهلاك لا تستطيعون منه خروجا... وقال عليه السلام:

«حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ وأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ سُفَهَاءُ الأَحْلامِ»[2].

---

[1] المصدر/ج٢/ ص٢٣٣/خطبة: ٣٦.

[2] المصدر.

وقد نهاهم عن إجابة الشام في طلب التحكيم بقوله: أنهم ما رفعوا المصاحف ليرجعوا الى حكمها.. والقصة معروفة لا نحتاج إلى تكرارها. ولكننا نركز فقط على مخالفتهم إياه بقولهم: دعينا الى كتاب الله فنحن أحق بالإجابة إليه... بل أغلظوا في القول حتى قال بعضهم: لئن لم تجبهم الى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك ـ والهام الرأس وخفتها، كناية عن قلة العقل ويقول عليه السلام:

«**ولَمْ آتِ -لا أَبَا لَكُمْ- بُجْراً ولا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً**»[1].

والبجر: بالضم الشر والأمر العظيم والداهية قال الراجز: (ارمي عليها وهي شيء بجر) أي: داهية. ويقال: لقيت منه البجاري وهي الدواهي، واحدها بجرى مثل قمرى وقمارى.

[1] المصدر/ج٢/ ص٢٣٣/خطبة: ٣٦.

فن التشبيه في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام

التشبيه هو فن من الفنون الكلامية التي تشكل في البيان العربي عنصراً أساسيا من عناصر الإبداع قي عملية التركيب الجملي- فنجد إن المعنى القصدي للمبدع داخل النتاج لا يتم إلا به... يقول الإمام علي عليه السلام:

«**فَمَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ**»[1].

وعرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. وينثالون: أي يتتابعون مزدحمين.. فنجد إن بلاغة سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام لا يقصد بها العمل التشبيهي، كغاية منشودة. بل هي وسيلة من الوسائل البلاغية التي يتم عبرها التوصيل، فتبنى على ضرورة الصياغة والتركيب.

فالتميز حق مشروع يديم التأمل فيه، ويعطي حصانة إبداعية لعدم التجني يوما على خصوصيات الكتابة عند المبدع، وهذا يعني إن مثل هذه الوسائط اللغوية، صارت عنوانا بارزا من عناوين بلاغة سيد الأوصياء عليه السلام فهو يقول:

«**حَتى لَقَدْ وُطِئَ الحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ**»[2].

---

[1] المصدر/ج١/ ص٢٤٩/خطبة: ٣.

[2] المصدر.

وشق عطفاه تعني: خدش جانباه من الاصطكاك ـ وكان هذا من الازدحام لأجل البيعة على الخلافة. وربيضة الغنم ـ الطائفة الرابضة من الغنم – يصف ازدحامهم حوله، وجثومهم بين يديه. ولو تأملنا داخل هذا المسعى البلاغي، لوجدنا إن التشبيه يمنح النتاج روعة واستقامة كقولهعليه السلام:

«**ولالْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**»[1].

وعفطة العنز: ما تنثره من انفها كالعفطة، ويستعمل ذلك في النعجة، ويقال: إنها نفطة. وتقول العرب: ماله عافط ولا نافط، أي لا نعجة عنده ولا عنز... ويحاول الإمام عليعليه السلام السعي لتقريب المفاهيم المعروضة، من خلال سعي توصيلي الى الاستشهاد بالمعالم والمشخصات القريبة لنفسية المجتمع العربي، والذي مثلما هو معروف مجتمع منصهر في الأرض وما تحتويه فيقول الإمام عليعليه السلام مشبها:

«**كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ**»[2].

فيشير الإمامعليه السلام إلى إن الوقت الذي كان في زمن السقيفة لم يكن مناسبا ليطالب بحقه فلو نهض إليها كان كما الزارع بغير أرضه لا ينتفع بما زرع. والسعي التشبيهي عموما يمثل صورة شعرية لها مؤولاتها وشرحها وتفسيرها القريب لنفسية المجتمع، ويعتبر أساسا احتواء شعورية المتلقي.. كقولهعليه السلام:

«**وَالله لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ**»[3].

---

(1) المصدر/ج١/ص٢٦١.

(2) المصدر/ج١/ص٢٨٧/ خطبة: ٥.

(3) المصدر/ج١/ ص٢٩٦/خطبة: ٦.

واللدم كان معروفا عند العرب: هو الضرب بشيء ثقيل يسمع صوته. ويروي لنا الرواة: أن صائد الضبع كان عند العرب يضرب بعقبيه الأرض عند باب حجرها ضربا غير شديد ـ وذلك هو اللدم ويكرر أصوات يعرفها العرب مثل خامري أم عامر بصوت ضعيف مرارا فتنام الضبع ويجعل عرقوبها حبلا ويجرها فيخرجها.

والتشبيه كمسعى بلاغي يعني تكييف النص الأدبي نحو المعنى، ومنها تظهر سيطرة المبدع الحقيقي على سير العملية الإبداعية. وعند الإمام عليه السلام وجدنا خصوصية تحرك الرأي الخاص المبثوث عبر تلك التشابيه تأخذ عدة مناحي مهمة، ومنها التأويلية الخاصة والتي كانت تشكل أحيانا نبوءات بحالات معينة مثل قوله عليه السلام في إحدى خطبه لأهل البصرة:

«**وايْمُ الله لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ**»[1].

وفي قول آخر له عليه السلام:

«**كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ**»[2].

فالجؤجؤ: الصدر من السفينة أو الطير أو أي شيء آخر. وجثم إذا وقع على صدره أو تلبد بالأرض.

وقد وقع ما أوعد به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين فقد غرقت البصرة إذ جاءها السيل من جزيرة فارس من جهة (جبل سنام) ولم يبقَ منها إلا مسجدها فلم يغرق...

---

[1] المصدر/ج١/ ص٣٣٣/خطبة: ١٣.

[2] المصدر/ج١/ ص٣٣٣/خطبة: ١٣.

وهناك محاكاة في الأمور المحسوسة والماثلة في المدركات والمشاهد لكونها تشكل انتقالا من الأمور الذهنية الصرفة الى مرتكز عياني- كقوله عليه السلام:

«**أَلا وإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَ أُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ**»[1].

فالتقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة وصاحبها عن الجادة لا يزال حتى يوافق الغاية. والذلل: جمع ذلول وهي المطايا المروضة السلسة الانقياد...ومثل هذه المتقاربات ستنقل المتلقي الى عوالم أخرى يتصور من خلالها القصد الذي أسس عليه المقال البلاغي.. وتمتاز مثل هذه المقاربات كأدلة مبرهنة لا تحتاج إلى جهد عقلي في تصور المعروض، ولا تشكل عبئا على المتلقي ـ كقوله عليه السلام:

«**فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ**»[2].

أي الجاهل بشيء ليس على بينة منه، فإذا انتبه عرضت له الشبهة في ثقته، وان نفاه عرضت له الشبهة في إثباته، فهو في ضعف حكمه في مثل نسج العنكبوت ضعفا ولا بصيرة له في وجوه الخطأ والإصابة، فإذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أو مخطئ. ويرى الشيخ محمد عبده وبعض علماء البلاغة إن الإمام علي عليه السلام قد استطاع في هذا التشبيه أن يعطي ابلغ ما يمكن من التعبير عنه.. ونجد إن مثل هذه التشبيهات تتميز بالسلاسة والسهولة أي لا عناء فيها لمن يقرأ ولا تكلف لمن كتب وتأتي بجمل تشبيهية أقوى دلالة من المشبهات نفسها فيقول الإمام أبو الحسن عليه السلام:

«**لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ**»[3].

---

[1] المصدر/ج١/ ص٣٥٣/خطبة: ١٦.

[2] المصدر/ج١/ ص٣٧٣/خطبة: ١٧.

[3] نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص٣٧/خطبة: ١٧/ ط: بيروت- دار الكتب العلمية.

ومن عادة عاجم العود أي مختبره ليعلم صلابة العود عن لينه أن يعضه، فلهذا ضرب المثل في الخبرة بالعض بضرس قاطع أي انه لم يأخذ العلم اختبارا بل تسول إليه كما تسول الوهم وصول الجناة، ولم يقف على محض الخبرة ليتبين أهو حق أم باطل.. نجد إن التشبيهات تعطي تأثيرا أعمق من سواه من البلاغيات، ويحقق متعة اكبر أثناء القراءة- ويسعى إلى التجانس الكلي مع متلقيه والتقرب الى عوالمهم من خلال هذه المشبهات وجدنا أيضا إن أمثلة التشبيهات في المحور الخطابي في بلاغة الإمام علي عليه السلام كثيرة جدا لا يمكن احتواؤها في مقال...

فن الاختزال في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام

فن الاختزال هو من أرقى الفنون البلاغية الأدبية، حيث يسعى إلى اختزال التفاصيل وجعلها اقرب إلى الحكمة. وتتضمن تاريخا من الحوادث والبنى السردية المضغوطة فهو يقول:

«**كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ**»[1].

والعكاظي: نسبة إلى عكاظ وهو سوق كانت تقيمه العرب في صحراء بين نخلة والطائف، ويجتمعون إليه من بداية شهر ذي القعدة، ليتعاكظوا أي يتفاخروا، كل بما لديه من فضيلة وأدب، ويستمر إلى عشرين يوما، وليتبايعوا أيضا. وأكثر ما كان يباع بتلك السوق الأديم، والأديم الجلد المدبوغ. وقوله تمدين يعني لم ينلها من العسف والخبط. ومثل هذا الاختزال يعتبر من الاختزالات المكانية، التي يختزل الشاعر لمعنى إشتغالاته الفكرية لتبوح عن حالة من الحالات الواردة في القصد المعروض. وقد تكون هذه الرؤى المكانية معرفة ولكن هناك بعض الاشتغالات المكانية الغير معنونة مثل قوله عليه السلام:

«**وأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي**»[2].

---

[1] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٢/ ص٣٣٣/خطبة: ٤٧/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

[2] المصدر/ج٢/ ص٣٤١/خطبة: ٤٨.

يرى ابن أبي الحديد إن لغة (الملطاط) هنا لهي من غريب العبارات وعجيبها، ويقول عنها تعني: (السمت) الذي أمرهم بلزومه، وهو شاطئ الفرات. ويقال حسب تعبير ابن أبي الحديد الخاص به: شاطئ البحر، واصله ما استوى من الأرض، وحيث يلحقها الإمام بمفردة تعبيرية (النطفة) وتعني: ماء الفرات.

وفي حقيقة الأمر إن الملطاط تعني: حافة الوادي وشفيره وساحل البحر، لكن السمت في لغة ابن أبي الحديد تعني: الطريق. ويقول الشريف الرضي قدس سره: من فسّر الملطاط بالطريق أوّل القصد الكلامي وإلا فتفسير اللفظة لا تعني ذلك، وإنما يعني شاطئ الفرات بيان للطريق. وراح يشتغل على منهج اللغويين فرآها خالية المعنى، وما أجمل هذا الاختزال الذي ينفتح على صدق ومصداقية الرؤى المعذبة بمسؤولية الأمة والسعي للحفاظ على كيانها.

ومنها ما تأتي دلالات زمانية والدلالات الزمانية عند الإمام علي عليه السلام تأخذ المعنى الأخروي. صحيح إن هناك أحداثا زمانية لوقائع معينة لكن الإمام علي عليه السلام يركز على الزمن الجمع (الدنيا) أي عمر الإنسان فهو يقول عليه السلام:

«أَلا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لا يُسْلَمُ مِنْهَا، إِلا فِيهَا ولا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا»[1].

فمن أراد السلامة من محنتها فليهيئ وسائل النجاة وهو لا يزال فيها لأن بعد الموت لا يمكن التدارك ولا ينفع الندم، فوسائل النجاة إما عمل صالح أو الإقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح كلاهما لا يكون إلا في دار التكليف وهي دار الدنيا، ولا نجاة بعمل يعمل للدنيا إذ كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هالك لا محالة.

[1] المصدر/ج٣/ ص١٧/خطبة: ٦٣.

ومن كلام له عليه السلام:

«**وايْمُ الله لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً ولَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً**»[1].

والاحتلاب كما هو معروف: استخراج ما في الضرع من اللبن- وهذا يعود إلى أعمالهم. واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من أعمالهم، وستتبعون تلك الأعمال بالندم عندما تصيبهم دائرة السوء أو تحل قريبا من دارهم. فلو لاحظنا إن هذا الاختزال ولد من عدة مغايرات خصوصية تستلهم عناصرها من النسيج اللغوي، ولذلك يستشفع الاختزال دائما عند الإمام علي عليه السلام برؤى بلاغية وغالبا ما تستخدم للبوح العميق المعنى الذي يحتاج إلى مفهوم تعريفي مسبق أو تأويلي جاد يعني (النخبة). ويتنوع الأسلوب البلاغي بتنوع المقاصد فهناك اشتغالات وجدانية وهناك فلسفية تبحث في عمق التكوين الإلهي والقدرة المطلقة..

ومثل هذا الموضوع الضخم يحتاج إلى مساحة اكبر، والى وقفات أخرى لنستجلي بها خصوصية الاختزال وتكتب عبارات الاختزال بتكثيف وضغط ينتج بما يسمى قديما بـ(أدب التواقيع) ويسمى اليوم (الومضة) وأدباء الأجيال الحديثة يسمونها أدب (الضربة الشعرية) وفي الأدب المستورد تسمى بأدب (الهايكو) الياباني، ونجد إنها تنفتح على عمق مستوى المعنى وجمالية المظهر النصي...

[1] المصدر/ج٢/ ص٣٩٧/خطبة: ٥٦.

التوثيقية في بلاغة الإمام علي عليه السلام

كل واقع سيكون نواة تاريخ، يحمل العبرة والمخاض، وبدون توثيقه سيفقد الواقع حرارته والمستقبل حيويته، ولا يمكن أن يكون هذا التوثيق خالي الوفاض، وإنما عليه أن يحمل وجدان الصدق وقساوة المعاناة، ليقف أمام ذلك الصراع الذي هيأته العديد من التوثيقات المنحرفة من قبل ذيول السلطة الأموية، فرسمت لنا واقعا مزيفا مملوءاً بالأكاذيب، وتبنت نشره عن طريق منابرها عبر وسائل ترغيبية ترهيبية... يقول الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام:

«وقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُون جَاهِلونَ مَفتونُونَ فِي خَيرِ دَارٍ وشَرِّ جيرَانٍ نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وكُحلهُمْ دُمُوعٌ بِأَرضٍ عَالِمُهَا مُلجَمٌ وجَاهِلهَا مُكرَمٌ»[1].

والسنابك: جمع سنبك، طرف الحافر. وخير دار: هي مكة المكرمة. وشر جيران: هم عبدة الأوثان من قريش. وقوله نومهم سهود: كما تقول: فلان جوده بخل، وأمنه مخافة، فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر، والكحل بالدمع. والعالم ملجم: لأنه لو قال حقا والجمهور على الباطل، لنهشوه، والجاهل مكرم، لأنه على شاكلة العامة، مشايع لهم في أهوائهم، منزلته عندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم، وهي في المقام الأعلى من نفوسهم.

---

[1] المصدر/ج١/ ص١٨٥/خطبة: ٢.

وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبيﷺ.

ومن خطبة له تسمى الشقشقية لقوله فيها:

«**تِلكَ شِقشِقَة هَدَرَتْ ثمَّ قَرَّت**»[1].

والضمير يرجع إلى الخطبة، و(فلان) كناية عن الخليفة. وهذه الخطبة تنقل أحداث التاريخ ما بعد حياة الرسولﷺ، وعن مؤامرات السقيفة، وأحداث تاريخية، يقول عنها الإمام عليعليه السلام:

«**يَهْرَمُ فِيهَا الكَبِيرُ ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ**»[2].

حتى انهالت عقب هذا التوثيق، الدراسات والآراء، وتمخّضت الاعترافات والاعتراضات، ثم يقول عليعليه السلام:

«**حَتى إذَا مَضَى لسَبيله جَعَلَهَا في جَمَاعَة زَعَمَ أَني أَحَدُهُم فَيَا لله وللشُّورَى**»[3].

وهذه القصة معروفة، وهذا التوثيق شفع بنقل تلك الأحداث إلى واجهة التاريخ، وبأمورها المعلنة والمخفية، وبدسائسها التي لا يقدر على تدوينها إلا من خبرها واكتوى بجمرها، لينقلها أمينة إلى الأجيال القادمة.

وقصة الخلافة وقضية إقصاء أهل بيت الرحمةعليهم السلام، قصة طويلة ولها تشعبات. وقد انتشرت في توثيقات الإمامعليه السلام الكثير منها، وله توثيق يفضح به مبايعة الزبير المدسوسة، وعن حرب الجمل، ووثق حياة أهل البصرة ومسايرتهم للباطل، وعن رده قطائع

---

[1] المصدر/ج١/ ص٢٦٣/خطبة: ٣.

[2] المصدر/ج١/ ص٢٠٩/خطبة: ٣.

[3] المصدر/ج١/ ص٢٣٥/خطبة: ٣.

عثمان، وفي توثيق آخر يقول عليه السلام:

«ذِمَّتِي بِمَا أَقول رَهِينَة وأَنَا بِهِ زَعِيمٌ إنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ العِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثُلاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ»[1].

وهذا التوثيق رفعه، عندما بويع بالمدينة، والذمة والعهد نقول: هذا الحق في ذمتي، كما نقول: في عنقي، وذلك كناية عن الضمان والالتزام. والزعيم: الكفيل، ويريد انه ضامن لمصداقية ما يقول، كفيل بأنه الحق الذي يدافع عنه. والعِبَر بكسر وفتح: جمع عبرة، بمعنى الموعظة. والمثلات: العقوبات، أي من كشف له النظر في أحوال من سبق بين يديه، وحقق له الاعتبار، إن العقوبات التي نزلت بالأمم والأجيال والأفراد، من ضعف وذل وفاقة وسوء حال، إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان، وما لبسوا من جهل وفساد أحوال. حجزته التقوى: وهي التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها، فمنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها.. فإن الشبهة مظنة الخطيئة، والخطيئة مجلبة العقوبة.. وأجمل تلك التوثيقات تلك التي وثقت لنا مقتل الخليفة الثالث، كقوله عليه السلام:

«لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً»[2].

ويقول في توثيق آخر:

«اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ وجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الجَزَعَ ولله حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي المُسْتَأْثِرِ والجَازِعِ»[3]

---

[1] المصدر/ج١/ ص٣٤٧/خطبة: ١٦.

[2] المصدر/ج٢/ ص١٥٣/خطبة: ٣٠.

[3] المصدر.

وهناك عدة توثيقات تشمل الأحداث، فهناك توثيقا عن غارة الضحاك بن قيس، دعا معاوية –لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين﵇ – الضحاك بن قيس وقال له:

(سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدت من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه)[1].

ووثق لنا خروجه إلى البصرة في واقعة الجمل، وفي استنفار أهل الشام. ووثق لنا لعبة التحكيم وتوثيقات عن الخوارج، وواقعة النهروان، ووهن أهل الكوفة، ونصائحه إلى أصحابه، التي تنطوي على كشف تاريخي لمعظم الأحداث التي مرت بها الأمة...

وهكذا كانت بلاغة الإمام علي﵇ تتجلى في عظمة الإشراف على اغلب هذه التفاصيل وهو الذي رأى الصورة بدقة وضوحها، ووقف بصلابة أمام التعقيدات التي منعت التدوين التوثيقي وحتى الرسالي منه، وتحمّل نشر الفقه الديني، وسعى للتثقيف العام بما نزل به الروح الأمين على محمدﷺ ولذلك كان تركيز تلك البلاغة، كما يراها معظم أهل البلاغة والنقد ومنهم الشيخ محمد عبده الذي قال: (..أن كلام الإمام علي بن أبي طالب[﵇] هو أشرف الكلام، وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه [وآله] وسلم وأغزره مادة وأرفعه أسلوبا وأجمعه لجلائل المعاني)[2].

(1) نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص٤٩/هامش:٤/ ط: بيروت– دار الكتب العلمية.
(2) المصدر/ ص٦.

علم الدلالة في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام

ليست الحداثة أن تكتب على احدث النظريات النقدية المستحدثة- بل الحداثة الحقيقية أن تقرأ تراثك برؤى جديدة- تلك وصية احد الأساتذة النقاد، وتلك هي خصائص الموروث الحي، وخاصة في بلاغة سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام، حيث تتمحور تلك الاشتغالات على الملمح اللساني- فتجد القدرة المذهلة التي بها استطاع خلق سلسلة لغوية لها القدرة على تحريك المديات بآفاق عبرت حدود المألوف بمفردات بسيطة مألوفة مثل الحق، الباطل، ولكن شكلت لا مألوفيتها بتركيبات جميلة تمنحنا الكثير من التأملية، يقول عليه السلام:

«فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنى»[1].

المرتادين: الطالبين للحقيقة أي لو كان الحق خالصاً من محاربة الباطل ومشابهته لكان ظاهراً لا يخلو على من طلبه- الضِغث بالكسر: قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب

[1] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٢/ ص٣٥٧/خطبة: ٥٠/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

باليابس. ويريد انه إن أُخِذَ الحق من وجه لم يعدم شبيهاً له من الباطل يلتبس به- وان نظر إلى الباطل لاح كأن عليه صورة الحق، فاشتبه به، فذلك ضغث الحق، وهذا ضغث الباطل ومصادر الأهواء التي ينشأ عنها وقوع الفتن إنما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل.

وهذه هي قدرة الإبداع الحقيقي التي بها يشخص أفعاله بطاقة متحركة سابقاً عليها حالات فكرية تنبع من صلب الرؤى المتجسدة لمحتواه الإنساني أي إن تلك الأفعال تمثل إدراكا ذاتياً تغير المرتكز لما يسمى بالأدب الحديث الثقافة السسيولوجية (علم الاجتماع)، يقول عليه السلام:

«قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلا وإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ وعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ»[1].

أي طلبوا منكم أن تطعموهم القتال كما يقال: يستطعمني الحديث أي يستدعيه مني- فأقروا- أي أما أن تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة أو أن تثوروا- وان اللُمّة بضم اللام وتشديد الميم: الأصحاب في السفر ويتخففها الجملة القليلة مطلقاً أو من الثلاثة إلى العشرة والتقليل مستفاد من الأول بطريق الكناية ومن الثاني على الحقيقة الصريحة وفي الأول الإشارة إلى إنهم ليسوا بأهل حرب فعمس الكتاب والخبر أخفاه- وعمست عليه: إذا أريته انك لا تعرف الأمر وأنت به عارف، وبهذا أصبح الخطاب التلفظي ظاهرة لغوية تحتاج إلى ذهنية متوقدة تحتكم إلى مرجعيات خارج النص - فينتج لنا طبقات من

[1] المصدر/ج٢/ ص٣٦٥/خطبة: ٥١.

سلاسل لغوية لتكوين الخطاب السيروري على إيقاعات تلك الأفعال، ومثل هذه النصوص تسمى بالنصوص الحضورية التي تجعل المتلقي أمام طاقم متكامل من حمولات ثقافية ومعرفية واجتماعية.

ومما جاء في ذلك قوله عليه السلام:

«**فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمِقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ**»[1].

فالسَمَلة هنا محركة: بقية الماء في الحوض. والاداوة المطهرة هو: إناء الماء الذي يتطهر به. والمقلة بالفتح: حصاة يضعها المسافرون في إناء ثم يصبون الماء فيه ليغمرها، فيتناول كل منهم مقدار ما غمرها لا يزيد احدهم عن الآخر في نصيبه يفعلون ذلك إذا قلّ الماء وأرادوا قسمته بالعدل.

ويتجلى لنا الفعل الدلالي بشكل واضح عند نقطة التبادل بين التشبيه والتأويل المراد به الواقع المعاش «**وايْمُ الله لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً ولَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً**»[2].والاحتلاب: استخراج ما في الضرع من حليب، واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من أعمالهم. وهذه دلالة تحتوي المضمون أو معنى التلفظ المنبثق من عملية التمثيل التخيلي ما بين عملية الاحتلاب للضرع ومابين اجترار النفس. وهذا التشبيه يعتمد على الخزين المتراكم من فعل الاستجابة ومن التكوينات الخاصة لدلاليات الإمام علي عليه السلام هي الدلالات المستلة من الوجدان الفلسفي كمضامين نصية، كقوله عليه السلام:

---

[1] المصدر/ج٢/ ص٣٧٣/خطبة: ٥٢.

[2] المصدر/ج٢/ ص٣٩٧/خطبة: ٥٦.

«وكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الأَلْوَانِ ولَطِيفِ الأَجْسَامِ، وكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ بَاطِنٌ، وكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ»[1].

الباطن هنا غيره فيما سبق أي كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته أي لا وجود له في نفسه فهو معدم بحقيقته، وكل باطن سواه وهو بهذا المعنى فلا يمكن أن يكون ظاهراً بذاته من هو باطن أبداً- فالحركة هنا متمركزة داخل التأمل المفتوح لدلالات واعية تحمل الشفرات التي تطل على عوالم الواقع الحياتي بكل مآسيه.

[1] المصدر /ج٣/ ص٣٩/خطبة: ٦٥.

الترادف في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام

اللغة العربية غنية بمفرداتها، ودلالة الترادف لغة: تعني ما يتبع الشيء (التتابع) ويعني عددا من الكلمات المختلفة، تحمل كل منها معنى واحدا كـ(الجود- السخاء). ويرى بعض العلماء اختلاف اللفظتين لإختلاف المعنيين مثلا (الحلم- الرؤيا) فالحلم: هو ما يراه الانسان في منامه من الشر، والرؤيا ما يراه من الخير.. و(الحمد والمدح) الحمد: يأتي على إحسان، والمدح: على صفة جمالية. و(الخجل والحياء) الخجل: مما كان، والحياء: مما يكون و(الغضب والسخط) الغضب: من الصغير على الكبير، والسخط: من الكبير على الصغير. وجاء في إحدى خطبه عليه السلام:

«**الْحَمْدُ لله... الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ولا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، ولا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، ولا أَجَلٌ مَمْدُودٌ**»[1].

فرغ من الكلام في الذات، وامتناعها على العقول، في تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة، فكل صفات الممكن يبلغ اثرها حدا تنقطع إليه، كما يحده في قدرتنا وعلمنا مثلا فان لكل طور لا يتعداه، أما قدرة الله وعلمه فلا حد لشمولها، وكذا يقال في باقي الصفات الكمالية.. والنعت يقال لما يتغير، وصفاتنا لها نعوت- فحياتنا لها أطوار من

[1] المصدر/ج١/ ص٤٣/خطبة: ١.

طفولة موجبا لما بعدها وقوة وضعف وقدرتنا كذلك تقصي وكمال وغموض ووضوح.. وأما صفاته منزهة عن هذه النعوت ثم ازلية أبدية لا تعد الاوقات لوجودها وأيضا في ذاته بها ولا تضرب لها الآجال.. والوصف هو لا يبضع كنهه كلام مولد.. صفة تواصف الشيء. والنعت يقال انه يستخدم للنكرة والوصف العام كما جاء في نفس الخطبة: «**ولا وَقْتٌ مَعْدُودٌ ولا أَجَلٌ مَمْدُودٌ**» وأجل: مدة الشيء. وفي احدى خطبه قال الإمام علي عليه السلام:

«**ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الأَجْوَاءِ وشَقَّ الأَرْجَاءِ وسَكَائِكَ الْهَوَاءِ**»[1].

والترادف بين فتق وشق، فالفتق تأتي بمعنى استخرج. وشق: بمعنى كسر (كسر الحطب)، فقد وردت في نفس الخطبة عليه السلام:

«**واسْتَبْدَلَ بِالْجُذَلِ وَجَلاً وبِالاغْتِرَارِ نَدَماً**»[2].

أي انتهز منه غرة وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام ومرافقته الابرار من ملائكته الأطهار. ادخل الشيطان عليه الشك في ما تناول منه سائغ التناول بعد ان كان في نهي الله تعالى له عن تناول ما يوجب من اليقين بحظره عليه، وكانت العزيمة في الوقوف عند ما امره الله فاستبد به الوهن الذي اقضى إلى المخالفة.والجذل: الفرح.

وقد كان في راحة الأمن بالإخبات إلى الله عز وجل وامتثال الأمر، فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة، وقد ذهبت عنه النعرة وانتبه إلى عاقبة ما اقترف، فاستشعر الندم بالاغترار. ومن اللغة جاءت مفردة جذل.. طرب وفرح..

---

[1] المصدر/ج١/ ص٧٩/خطبة: ١.

[2] المصدر/ج١/ ص١٢٩/خطبة: ١.

والغرور ما اغتر به من متاع الدنيا. وترادفات أخرى كثيرة مثل قوله في نفس الخطبة:

«**أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ**»[1].

وأخذ الميثاق: أن يبلغوا ما أوصى إليهم ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له أو أخذ عليهم ان لا يشرّعوا للناس إلا ما يوصى اليهم عهد الله عز وجل إلى الناس هو ما يأتي يعبر عنه بميثاق الفطرة..ويكون الاشتغال عن الترادف من خلال السياق الجملي ولو أردنا الاطالة في هذا الموضوع لوجدنا متسع من الاستشهادات...

[1] المصدر/ج١/ ١٣٩/خطبة:١.

الاسلوبية في بلاغة الإمام علي عليه السلام

تم استخدام الأسلوب مصطلحاً نقدياً على نطاق واسع طيلة قرون، وغالبا ما اقتصر على طريقة انطباعية نسبياً في محاولة لجذب الاهتمام ناحية ميزات الاستخدام اللغوي أو غرابته في النص الأدبي. والمعروف إن البلاغة في نهج البلاغة قد اعتمدت على مميزات أسلوبية كبيرة لا يمكن احتواؤها في موضوع مختصر- فمثلا نجده عليه السلام يقول:

«**وغَرَّزَ غَرَائِزَهَا وأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا**»[1].

فالغرائز: جمع غريزة، وهي الطبيعة. وغرز الغرائز كأضاء الأضواء، أي جعلها غرائز، والمراد هنا أودع فيها طبائعها، ويعود الضمير في أشباحها للغرائز، أي ألزم أشباحها أي أشخاصها، لأن كل مطبوع على غريزة تلازمه، فالشجاع على سبيل المثال لا يكون خواراً وهكذا...ولو تمعنا الأسلوب الاشتغالي على الكتابة لقرأنا: «**عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وأَحْنَائِهَا**»[2]. أحناء: جمع حِنو بالكسر أي الجانب، أو ما اعوج من الشيء بدنا كان أو غيره كناية عما خفي، أو من قولهم أحناء الأمور أي متشابهاتها وقرائنها ما تغيرت بها من الأحوال المتعلقة بها، والصادرة عنها.

---

[1] المصدر/ج١/ ص٦٩/خطبة: ١.

[2] المصدر.

والأسلوبية الحديثة محاولة لمقاربة قضية الأسلوب نقدياً أكثر دقة، وأدق منهجية، وليست فرعاً من فروع المعرفة بذاتها.

يقول مولاي أبو الحسن عليه السلام:

«مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ؛ بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ ودُوَلِ الضَّلالِ الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ والْبَاطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ»[1].

تسمي بعض المدارس النقدية مثل هذه الاشتغالات بمنهجية (القناع) أي اختبار رمز له مكونات دلالية، ينهل منها المبدع استنتاجاته، والمعنى انه يوضح لمن رموه بالخيفة، فهناك فرق بين الواقع الحقيقي وبين ما يزعمون، لكونه لا يخاف على حياته، ولكنه يخاف من غلبة الباطل، كما كان من نبي الله موسى عليه السلام، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾[2].وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره.

والأسلوبية تعني أشبه بمعبر يوصل بين علم اللسانيات الذي يعتبر النصوص الإبداعية مجرد مادة مستقلة تثير الاهتمام في الدراسة المتعمقة للغة، لتتوغل في عمق الواقع الحدثي، فلو تابعنا قوله عليه السلام في خطبته الشقشقية حين قال:

«هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ»[3].

---

[1] المصدر/ج١/ ٦٩/خطبة:١.

[2] سورة طه/آية: ٦٧.

[3] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج١/ص٢٦٣/خطبة:١/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

والشِقْشِقة بكسر فسكون فكسر: كالرئة يخرجها الجمل من فيه إذا هاج. وصوت الجمل عند إخراجها يسمى هديرا ونسبة إلى الخطبة، فتظهر علامات البوح الخفي لحجم الأحداث التي جرت عليه حتى فاض بعضها كالهدير.

تنطلق الأسلوبية للبحث عن مفاهيم يتم توضحيها ومنها ما يكتب للغة التباين والتضاد، فإمامنا أبو الحسن عليه السلام يقول في نفس الخطبه:

«ومَا أَخَذَ الله عَلَى الْعُلَمَاءِ الا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ»[1].

والكظة: التخمة، والإسراف: من الشبع، والكظة: ما يعتري الأكل من امتلاء البطن بالطعام. والمراد استثثار هذا الاشتغال التضادي ليبرز من خلاله القصد المعنى هو هضم حقوقه... يمارس مبدع المنجز خيار الكتابة ضمن مؤطرات الذائقة الإبداعية ووعيه للتوصيلية لاحتواء المتلقي فيقول مولاي أبو الحسن عليه السلام:

«والله مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً ولا كَذَبْتُ كِذْبَةً ولَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وهَذَا الْيَوْمِ.

ألا وإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ»[2].

فلو تأملنا في الاشتغال الجملي، والإزاحة البلاغية العالية التي كونت صورة شعرية من أهم ما ركزت عليه الحداثة اليوم. فالصورة التشبيهية القريبة عن بيئة الإنسان في حينه من خيل ولجام لوجدنا الحرص على احتواء عوالم المتلقي ومكوناته. فالوشمة: تعني الكلمة، وقد عرف الناس شخصية الإمام علي عليه السلام كإنسان قائد لا يماري، يأمر

[1] المصدر.

[2] المصدر/ج١/ص٣٤٦-٣٥٣.

بالمعروف وينهى عن المنكر لا يحابي ولا يداري ولا يكذب... ومكونات مثل هذه الشخصية هي نفسها تصبح جزءاً من التوصيلية، وهذا القسم توطئة لقوله عليه السلام:

«**ولَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمُقَامِ وهَذَا الْيَوْمِ**»[1].

أي إن النبي صلى الله عليه وآله قد اخبره به؛ بأنه سيقوم هذا المقام ويأتي عليه يوم مثل هذا اليوم... وهذا احتواء آخر لتوصيلية قريبة عن كل إنسان، حيث استحضر نبوءة الرسول صلى الله عليه وآله ومثل هذه النبوءة باعتبارها كمادة توصيلية لابد أن تكون لوحدها كمكون احتوائي. والشُمُس بضمتين فسكون: وهي جمع شموس.. وشمسَ: أي منع ظهره من إن يركب، وهذا يعني إن فاعل الخطيئة إنما يقترفها لغاية زُيّنت له ويطلب الوصول إليها، فهو شبيه براكب فرس يجره إلى غايته.. لكن الخطايا ليست إلى الغايات بمطايا فإنها اعتساف عن السبيل، واختباط في السير.

لهذا نجد إن التشبيه اللغوي العالي القيمة لجملة: (**خُلِعَتْ لُجُمُهَا**) لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه إلى حيث ترديه وتقتحم به في النار. وورد تشبيه التقوى بالمطايا الذلل ظاهرا فأن التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها وصاحبها على الجادة حتى يوافق الغاية.. والذلل جمع ذلول: وهي المروضة الطائعة السلسة القياد..

فالنظر إلى المكونات الأسلوبية بنفسها، لابد أن يأخذنا إلى أهمية النظر في جنس المنجز الإبداعي فالإمام علي عليه السلام كان يعتمد على فن الخطابة الإبداعي. ومعظم ما وصلنا من أدبيات ومنجزات ابداعية هو على شكل خطب ألقاها في مناسبات شتى. وفن الخطابة يحتاج إلى مضامين موجزة ونماذج تشخيصية آنية لاحتواء الواقع (من جواذب

[1] المصدر/ج١/ص٣٤٧/خطبة:١٦.

الخطابة وشخصية الخطيب نفسه- صوته- انفعالاته- إيماءاته) والتماس الخطابة لإيراد بعض القصص الممتعة لكونها تعتمد على التوصيلية المباشرة، وهذا يعني أن هناك استخدامات يوجبها الجنس المنجز (الافتراض الاتفاقي) مع اتخاذ الحذر لمثل هذه التوصيفات، لكون النقد الأدبي الحديث يرفض التفريق بين شكل الأدب ومضمونه.

لنقترب أكثر إلى الموضوع فنقول: إن (الأسلوبية) تفرض مهمة إخضاع مديات الخيار اللغوي المتاحة للمبدع، وتحدد الطرق التعبيرية التي كوّنت معالم الشكل اللغوي. كالتي جاءت في قوله عليه السلام:

«**كَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ**»[1]. و«**رَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ**»[2].

صورا تركيبيه تم تركيبها بانتقائية عالية، لإكمال صيرورة متكاملة عبر أسلوبية استغنت عن الكثير من السلبية، لإبعاد شبح الملل عن المنجز. ومثل هذه اللغة ستحتوي لاشك على (الضربة المؤثرة) لتطل على ديمومة زمانية، فنجد أن الحاملة لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه- وقمش جهلا: جمعه. والجهل هنا بمعنى المجهول، كما يراه ابن أبي الحديد وبعض أهل اللغة: (المعلوم علما.. أن العلم هو صورة الشيء في العقل، هو المعلوم حقيقة كذلك يسمى المجهول جهلة.. الصورة التي اعتبرت مثلا لشيء وليست بمنطبقة عليها هو الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم..) جهل المجموع هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي واقعا ولا واقع له.

---

(1) المصدر/ج١/ص٣٦٥/خطبة:١٧.

(2) المصدر/ج١/ص٣٧٣.

يرى بعض أهل العلم أن الإمام علياً عليه السلام كشخصية تعتبر ضمن الجواذب الشخصية أي أن التأثيرات العامة لمميزات المبدع الإنسانية لها سطوة نفسية لقبول منجزه الإبداعي، وهذا لا يعني أن النص البلاغي يخلو من أسس الديمومة، بل بالعكس يرى بعض أهل النقد أن لتلك المدونات البلاغية فضل التعريف بالكثير من مكونات شخصية المبدع نفسه، وأطلعتنا على الواقع المعاش بكل تناقضاته وتوافقاته وتأثيراته، وقرّبت لنا عوالم فكرية كثيرة، وهذا يعني أن النص الحي هو الذي يعبر عن محتوى المبدع الفكري، وان أحاسيسنا الانطباعية تشكل معظمها من جرّاء الموروث الخطابي يقول الإمام علي عليه السلام:

«لَقَدْ كُنْتُ ومَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ولا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي»[1].

ونجد هنا أن الأسلوبية أسهمت في وصف الأبعاد اللغوية بصورة مميزة لإبراز القيم التوصيلية ومنها التوصيلية لإعطاء رؤيا جديدة من الموروث البلاغي.

[1] المصدر/ج٢/ص٢١/خطبة:٢٢.

استخدامات (كان) في بلاغة الإمام علي عليه السلام

يرتكز النص الخطابي على الواقع للتعبير عن المكونات الفكرية، فيتمحور داخل فحوى الذات باتجاهات موضوعية، وليست مشاعر وأحاسيس فقط بل هي رؤى فكرية كقوله عليه السلام:

«ولا تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ»[1].

ومنها رؤىً شعورية، ومبينات إيمانية، ترتكز على آيات قرانية، وأحاديث نبوية شريفة، ومناجاة وحدانية كقوله عليه السلام:

«فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، والْبَلاغَ لِلْمُلْتَمِسِ. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ، ومُنِعَ الْغَمَامُ، وهَلَكَ السَّوَامُ»[2].

فالمبتئس الذي مسته البأساء والضراء، والبلاغ الكناية، والسوام البهائم.

وعملية سرد الواقع ونقله إلى حيز النص الابداعي، يكوّن لنا اشتغالات ذات حساسية تحمل ارتباطين:

---

[1] المصدر/ج٥/ص١٠٧/خطبة:١١٧.

[2] المصدر/ج٥/ص٨١/خطبة:١١٥.

أولها: المحتوى الذاتي المتعلق برؤية المبدع وتكوينه، وتمنح مثل هذه الصيرورة فعالية نقل أحداث ماضية إلى معنى الحادث باستخدامات مختلفة، ومنها ما هو سلبي.

وثانيا: العرض الموضوعي للأحداث التي تستحضر لغايات وعظية تسعى لبعث روح الالتزام، كقولهعليه السلام:

«وكانَ الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إلا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً»[1].

وتأتي (عبرة) بالفتح: وهي الدمعة قبل ان تفيض أو تردد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاء.

وتكون هذه السردية قادرة على الكشف والبحث داخل العمق الحدثي، وخاصة عندما ترتكز على سردية الكان، ويعبر عن زمنية الماضي بعدة أشكال أسلوبية وردت في نهج البلاغة. ومنها ما يرد مؤول القصد- مثل قولهعليه السلام:

«ويَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، ويَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا ويَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ»[2].

ومثل هذه المتكئات السردية والتأويلية في الخطابة العربية سائدة ومعروفة، يلجأ إليها الواعظ بلغة عرض مباشرة كقولهعليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ -وإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ- عَنْ عِتْرَتِهِ»[3].

---

(1) المصدر/ج٥/ص٧-١١/خطبة: ١١١.

(2) المصدر/ج٤/ص٣٧٣/خطبة: ١٠٩.

(3) المصدر/ج١/ص٣٧/خطبة: ٢٣.

فبنيـة الكـان تعتـبر مـن المكـررات، وتكـون دلالـة مـن دلالات العـالم النـفسي السايكلوجي، فتظهر ما يحز بالنفس كقوله عليه السلام:

«ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، والأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وقُلُبَهَا وَ قَلائِدَهَا ورُعُثَهَا»[1].

والمعاهدة هنا: هي المرأة الذميَة. والحجل: خلخالها. والقُلبُ هنا تأتي بالضم: ويعني سوارها. وأما الرعثات: جمع رعثة بالفتح بمعنى القرط، ويروى أنها تأتي بضم الراء والعين.وتأتي أحياناً للتأكيد على حالات معينة مؤولة القصد، وتحتوي أموراً بلاغية كثيرة كالجناس والسجع والتضادات والطباقات كقوله عليه السلام:

«وقَدْ أَمَرَّ فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً، وكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً»[2].

وأمرّ الشيء: صار مراً. وكدر: تعكر، وتغير لونه، واختلط بما لا يساغ طعمهُ. وتأتي أحياناً مضارعة، وهذا يعني أن المبدع استطاع أن يدفق دلالاته السردية عبر هذه الكان ليضمن الاغراض الابداعية. ومنها ما أتت مضارعة وضمير المتكلم مستتر تقديره أنا كقوله عليه السلام:

«وَ الله لا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، ويَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا»[3].

واللدم: الضرب بشيء ثقيل يسمع صوته، ويستخدم لنوم الضبع لكي يصطاد.

---

(1) المصدر/ج٢/ص٩٧/خطبة:٢٧.

(2) المصدر/ج٢/ص٣٧٣/خطبة:٥٢.

(3) المصدر/ج١/ص٢٩٧/خطبة:٦.

ويتعامل بصيغ مختلفة منها ما يأتي بصيغة (كنتم) لجموع المخاطبين كقوله عليه السلام:

«**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ**»[1].

وما يأتي بصيغة (كانوا) لجموع الغائبين التي حاول فيها الارتكاز على فاعلية التكرار وجمالية الاشتقاقات اللغوية كقوله عليه السلام:

«**حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاكُمْ وأَعْلاكُمْ أَسْفَلَكُمْ، ولَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، ولَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا**»[2].

واستطاعت هذه الكان التي تبرز لنا الواقع المعاش كجزء من المقارنة. ومن أهم خصوصيات الواقع أن يكون انتقائياً يعتمد على التعدد الأسلوبي في رؤية العالم الخارجي. ومثل معطيات هذه القدرة البلاغية نشأت ابتكارية توليدية، وأن اعتمدت على عدة بنى ارتكازية عامة، ومن هذا كانت خصوصية هذه البلاغة العملاقة.

---

[1] المصدر/ج١/ص٣٢٣/خطبة:١٣.

[2] المصدر/ج١/ص٣٤٧/خطبة:١٦.

الصورة الفنية في بلاغة الامام علي عليه السلام

هي صور حسية استعارية، وهي احتمال مفتوح على التعدد الوظيفي، وامكانية جمالية لا حدود لتجلياتها المظهرية واضماراتها الدلالية- كقوله عليه السلام وهو يتحدث عن السحب:

«**الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ والْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ**»[1].

والفتيق: تعني المفتوق، والدفيق المدفوق.

وقد تكون الصورة صريحة أو قد تأتي ضمنية بين تعبيرين أو أكثر- بحيث تضفي على أحد التعابير أو مجموعة من التعبيرات لونا من العاطفة.

كقوله عليه السلام في الاستسقاء:

«**اللهمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، واغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وهَامَتْ دَوَابُّنَا. وتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلادِهَا**»[2].

فانصاحت: تعني جفت ويبست من الجدب، وليس من المناسب تفسير انصاحت بـ(انشقت) الا ان يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخُر المطر، حتى اتقد باطن الارض نارا، وتنفست في الجبال فانشقت.. ويكثف معناه التخييلي، وليس معناه الحرفي دائما، ويتم

---

[1] المصدر/ج١/ص٨٣/خطبة: ١.

[2] المصدر/ج٥/ص٨١/خطبة: ١١٥.

توجيهه ويعاد خلقه إلى حد ما من خلال ارتباطه أو تطابقه مع التعبيرات الأخرى مثل قوله عليه السلام:

«أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجُفِيرِ الْفَارِغِ، وإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ عَلَيَّ وأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا، واضْطَرَبَ ثِفَالُهَا»[1].

والقِدح بالكسر: السهم قبل أن ينصل، والجفير: الكنانة توضع فيها السهام- وإنما خص القدح لانه يكون أشد قلقلة من السهم المراش حيث ان حد الريش قد يمنعه القلقلة أو يخففها- واستمار: تردد واضطراب الثفال: الحجر الأسفل من الرحى.والصورة الفنية تزيد العمق التأثيري، ويتجاوز حدود الاستعارة والتشبيه إلى التجسيد والتشخيص والوصف كقوله عليه السلام في إحدى خطبه متحدثا عن الدهر في صور متتابعة:

«فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ، لا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، ولا تُؤْسَى جِرَاحُهُ. يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ والصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، والنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ. آكِلٌ لا يَشْبَعُ، وشَارِبٌ لا يَنْقَعُ»[2].

ومصطلح الصورة من المصطلحات النقدية التي ليس لها جذور في النقد الأدبي العربي- وهناك فارق بين الصورة والبلاغة تتسنى في خباياها حقائق شعرية ينأى بها الزخرف الشعري كقوله عليه السلام:

«فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ وعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ»[3].

---

(1) المصدر/ج٥/ص٨١/خطبة: ١١٥.

(2) المصدر/ج٥/ص٦٣/خطبة: ١١٤.

(3) المصدر/ج١/ص٨٧/خطبة: ١.

ومخضته: حركته بشدة كما يمخض السقاء ما فيه من اللبن، ليستخرج زبده. والسقاء: جلد السخلة يجذع فيكون وعاء للبن والماء. وعصفت به الريح: إذا عصفت بالفضاء الذي لا أجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع، وهذه الريح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذي يكون لها.

إن تنوع مهام الصورة الفنية في بنى تقريرية لا تحتوي تشبيها أو مجازاً وهناك صور تشبيهية وهناك الرمز(الايقوني) وتعني صورة تدل على صورة مادية بينها علاقة التشبيه والمجاز- كقوله عليه السلام في الشهادتين:

«...**شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ. لا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، ولا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ**»[1].

وهناك صورة منه ترتكز على مفهوم الاستعارة- التي واكبت الاعتقاد إلى المجاز مثل قوله عليه السلام في إحدى خطبه، وهو يتحدث عن الملائكة:

«**مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ**»[2].

فنجد أن الصورة الفنية موجودة في التراث لكنها لم تشخص كآليات نقد خاصة لذا يرى البعض ان لا صورة بعد التشبيه والمجاز.

---

[1] المصدر/ج٥/ص٥٥/خطبة:١١٤.

[2] المصدر/ج١/ص٩٧/خطبة:١.

المكانية في نهج البلاغة

يرى النقد الأدبي الحديث، أن مصطلح المكان له علاقة قائمة بمصطلح الفضاء... والفضاء لغة: هو المكان الواسع من الأرض، ويمثل الحيز الزمكاني (زمان – مكان) الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء، ملتبسة بالأحداث، متبعة لعوامل الرؤية الفلسفية، كقوله عليه السلام:

«وأَمَرتـُهُم بِلـزُومِ هَـذَا المِلطَـاطِ حَتى يَـأتِيَهُمْ أَمْـرِي وقَـدْ رَأَيْـتُ أَنْ أَقطَـعَ هَـذِهِ النُّطفَةَ إِلَى شِرذِمَةٍ مِنكُم مُوَطِّنِينَ أَكنَافَ دِجلَةَ»[1].

وقد ذهب أغلب المفسرين إلى التفسير الظاهري، وقالوا: إن الملطاط؛ حافة الوادي وشفيره، وساحل البحر، والسمت: أي الطريق. ويرى الشريف الرضي: أن الملطاط يعني السمت. تبين لمراد أمير المؤمنين عليه السلام لفظ الملطاط في كلامه، ولا تفسير للفظ في نفسه. وذهب إلى أن تفسير اللفظ الملطاط في استعمال اللغويين، كما أورده بن أبي الحديد أنه خالٍ من المعنى، وفي مصدر آخر يراه: شاطئ البحر وأصله ما أستوى من الأرض. ويعني بالنطفة: ماء الفرات. وهو من غريب العبارات وعجيبها، ولا ندري كيف لهم ان يتماهلوا عن مدلولات المنطق التي لا تحتاج إلا الى تأمل دقيق لمعرفة كنه مثل هذه العبارات البلاغية، بينما نجد نظرية علماء الطبيعة في القرنين الثامن والتاسع عشر، أن جعلوا الفضاء

[1] المصدر/ج٢/ص٣٤١/خطبة:٤٨.

بمعزل عن الزمن، في حال يرى (باختين): لا يمكن عزل المكان عن الزمان كقول الإمام علي(عليه السلام):

«اللهمَّ أَنْتَ الصَّاحبُ في السَّفَرِ، وأَنْتَ الخَلِيفَة فِي الأَهل ولا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ، لأنَّ الْمُسْتَخْلفَ لا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، والْمُسْتَصْحَبُ لا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً»[1].

ولان ذات الله سبحانه وتعالى تستوي عندها الأمكنة، كما تستوي عنها الأزمنة، فالحضر والسفر عندها سواء أو كقوله(عليه السلام):

«كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ»[2].

والعكاظي: نسبة إلى عكاظ، سوق تقيمه العرب في صحراء بين مكة والطائف، يجتمعون إليه في بداية شهر ذي العقدة، ليتعاكظوا: أي يتفاخروا كل بما لديه من فضيلة وأدب. ورغم ندرة الإنجازات النقدية المتعلقة في المكان، يبقى هو كيان مادي، يشكل طرقا هامة من التاريخ النصي، أعطى فسحة كبيرة لإبراز الأحداث. وتعد خصوبة المكان عمقا دلالياً. وهناك أمكنة لها معلمها وسماتها الخاصة، كقول الإمام علي(عليه السلام):

«ثمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ»[3].

ويقول في نفس الخطبة:

«وأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيَّةِ وتَنَاسُلِ الذرِّيَّةِ»[4].

فربط الإمام علي(عليه السلام) الأمكنة بمقومات القوى والفطرة؛ إذ جعل في كل مكان ميزته.

---

(1) المصدر/ج٢/ص٣٢٧/خطبة:٤٦.

(2) المصدر/ج٢/ص٣٣٣/خطبة:٤٧.

(3) المصدر/ج١/ص١٢٩/خطبة:١.

(4) المصدر.

وقد اكتشف النقاد والباحثون، إن ثمة التصاق حقيقي بين الإنسان والمكان. وقد عبر عنه الإمام علي عليه السلام في تداخل (المكان- الإنسان) حيث خلق الله جل وعلا الإنسان من معنى المكان نفسه فيقول عليه السلام في صفة خلق آدم عليه السلام:

«ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وسَهْلِهَا، وعَذبِهَا وسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بالمَاء حَتَّى خَلَصَت، ولاطَهَا بالبَلة حَتى لَزَبَت»[1].

والحزن: الغليظ الخشن من الأرض. والسبخ: ما ملح من الأرض.

واختلاف أرضية المكان منحت الإنسان طباعه المختلفة، وتباين استعداده للخير والشر والحسن والقبيح، منذ تكوينه البايلوجي الأول والحياتي، ليكون رحم الأم مكانا. ومن ثم المهد والبيت والشارع ويصير القبر مكانه الأخير... كقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«حُمِلُوا إِلَى قبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وأُنْزِلوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وأَوطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ»[2].

غير راكبين: إنما يقال: ركب ونزل حقيقة، لمن فعل بإرادته. أوطن المكان: اتخذه وطنا. وأوحشه: هجره حتى لا أنيس به.

فالمكان قدّم إلهاما إبداعيا، بمختلف تجلياته، في بلورة منظومات ذهنية حسب رؤية (يوري لوتمان) الذي ركز على أبعاد ودلالات تتباين في المكان بتباين شخصية المبدع. فهوية المكان تمثل جزءا من هوية الإنسان وإن فضاءَه يكتسي- بعدا إدراكيا نفسيا، يتحول

---

[1] المصدر/ج١/ص١٠٩/خطبة:١.

[2] نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص٢٠٧/خطبة:١٨٥/ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

المكان إلى بعد جمالي من أبعاد النص، لما يمنحه الإمكانية للغوص في أعماق البنية الخفية كقولة عليه السلام:

«أَرْضُكُمْ قَرِيبَة مِنَ المَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقولكُمْ، وسَفِهَتْ حُلومُكُمْ»[1].

وهناك الكثيرة من الإنجازات الإبداعية التي تعتمد على البناء المكاني كعنصر أساسي وهام، حيث تدور فيه الأحداث، وتتحاور فيه الشخصيات، وتتفاعل فيه. ونقرأ في نظرية (باشلار) المكانية، لنستدل إن علاقتنا بالأمكنة تتبع بتباين أحاسيسنا فالإمام علي عليه السلام يقول:

«وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الفَنَاءُ ولأهلِهَا مِنهَا الجَلاءُ وهِيَ حُلوَةٌ خَضْرَاءُ، وقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ والتَبَسَتْ بِقَلبِ النَّاظِرِ، فَارْتَحِلوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ»[2].

والجلاء: الخروج من الأوطان، تمثيل لها بما يؤلفه الذوق، ويرق النظر. وعجلت للطالب: أسرعت إليه. والتبست بقلب الناظر، واختلطت به محبة. وأحسن ما بحضرتكم: أي أفضل الاشياء الخاصة عندكم، وذلك فاضل الأخلاق وصالح الأعمال.

والأمكنة بكل ما تضمه من تفاصيل وملامح وزوايا، تحمل التواريخ تواجدا، وتسير باللحظات المتداخلة بين الأزمنة. فالمكان حسب ما نراه؛ يعني تجليات تجسيد رغبات مؤمنة، يقول أحد النقاد: إن المكان حياة، وهو فضاء يحتوي كل عناصر المنجز الروائي

---

(1) نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج١/ص٣٦٧/خطبة:١٤/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(2) المصدر/ج٢/٣٢١/خطبة:٤٥.

والمكان، وليس الجغرافية فقط لكونه أكبر منها، وهو امتداد لعوالم لا حدود لها.يقول عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ سَلونِي قَبْلَ أَنْ تَفقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرضِ»[1].

أما قوله عليه السلام: فلانا بطرق السماء أعلم...، فالقصد به أنه في العلوم الملكوتية والمعارف الإلهية أوسع إحاطة منه بالعلوم الصناعية. وفي تلك تظهر مزية العقول العالية والنفوس الرفيعة. وبها ينال الرشد ويستضيء الفكر.

وقد ورد في خطب الإمام علي عليه السلام الكثير من دلالات المكان، كقوله عليه السلام:

«فِي خَيْرِ دَارٍ وشَرِّ جِيرَانٍ»[2].

ووصفه في نفس الخطبة:

«وكُهُوفُ كُتُبِهِ، وجِبَالُ دِينِهِ»[3].

أو لنقرأ في خطبة أخرى:

«أَمَا واللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ القُطبِ مِنَ الرَّحَى. يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيلُ ولا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ»[4].

---

[1] نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص٢٠٨/خطبة:١٨٦/ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

[2] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج١/ص١٨٥/خطبة:٢/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

[3] المصدر/ج١/ص١٩٥/خطبة:٢.

[4] المصدر/ج١/ص٢٠٩/خطبة:٣.

أو لنقرأ:

«**لِيَعُودَ الجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ**»[1].

وفي خطبة أخرى يقول عليه السلام:

«**فَلانقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ**»[2].

وكذلك:

«**قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ**»[3].

فالمكان في نهج البلاغة، يتسع في حلم الإنسان ورؤيته خارج إطار الأرض.

[1] المصدر/ج٢/ص١١٧/خطبة:٢٨.

[2] المصدر/ج٢/ص١٨٩/خطبة:٣٣.

[2] المصدر/ج٢/ص٢٣٥/خطبة:٣٦.

الاستفهامية في نهج البلاغة

يعتبر الاستفهام أحد أهم المداخل لإضاءة النص الخطابي، لكونه فضاءً مثقلاً بالأحداث والشخصيات. ويتكون من لغة مكثفة، وتفاعل، وتداخلات جملية. ولابد من إدراك لماهية الاستفهام، التي تعد محاولة من محاولات تشخيص رؤية تجذب الاهتمام، صوب المرتكز القصدي كقوله عليه السلام:

«**مَتى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّل منهُمْ، حَتى صِرْت أُقرَنُ إِلَى هَذه النَّظَائر**»[1].

ويعتبر البعض أن الاستفهام استنطاق واعٍ للحدث، ليحتفظ بهيمنة التأثر، حيث يدفعه الى واجهة الارتكاز، فيرسم لمتلقيه تحريضا نحو توجه ما مقصود. وأما لمتلقي اليوم، تداعيات تاريخية مرتبطة، بأفعال، وشخصيات، ونتائج، كقوله عليه السلام:

«**أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَاركمْ تمْنعُونَ، ومَعَ أَيِّ إِمَام بَعْدي تُقَاتلونَ؟**»[2].

ليبقى محافظا على حيوية التأثير. ولذلك يرى اغلب النقاد إن ما ينهض وراء السرد يعد مجازا؟ لكونه ينفتح على الكثير من الإيحائية، ولأن نصوص نهج البلاغة، تشكل منعطفا ولائيا، حيث تقرن بمنشئها صاحب التبجيل الروحي. فالاستفهام يبحر في العمق

---

[1] المصدر/ج١/ص٢٣٥/خطبة:٣.

[2] المصدر/ج٢/ص١٤١/خطبة:٣٩.

التآلفي مع متلقيه، كقولهعليه السلام:

«ولَقَدْ بَلَغَني أَنَّكمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذبُ قَاتَلَكمُ الله تَعَالَى، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى الله؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ!

كَلا والله. لَكِنَّهَا لُهجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا»[1].

أي بعد الكلام عن معناه. يرى البلاغيون إن الاستفهام يعمِّق المعنى. وقد لا يحتاج بعضه الى إجابة بل الى تصور، فيمنح ما يمكن أن يخرج مجازيا. وتلك ظاهرة جمالية، تعتبر من أجمل أنماط التصوير الإيحائي، كقولهعليه السلام:

«وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَة.

أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟! أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ، الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ؟! وأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وهَزَمُوا بِالأُلُوفِ»[2].

والرس: نهر أذربيجاني، اعتمر ضفافه أقوام تعبد شجرة صنوبر، فأرسل الله تعالى لهم نبياً، يدعوهم الى عبادته، فرموه في شفير يسمى دوشاب، واجتمعوا يسمعون أنينه حتى مات، فعاقبهم الله بعاصفة، ومواد متقدة، سلقت أبدانهم، وأذابت أجسادهم، وانقلبت مدنهم.

ونجد في الاستفهامية تشكيلا نفسيا وفكريا واجتماعيا، يترفع عن الزمانية الآنية، كقولهعليه السلام لمن حذره الخروج الى النهروان في هذه الساعة، تحسبا لحسابات علم النجوم:

---

[1] المصدر/ج٣/ص٩٥/خطبة: ٧١.

[2] نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص١٩٧/خطبة:١٧٩/ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

«أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ وتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ واسْتَغْنَى عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِالله...»[1].

فالاستفهام مقترب خصب، يحدد اتجاهاته، وفق منظور يمارسه المبدع نفسه، في ضوء ما أثاره الواقع، كقوله عليه السلام:

«أَمَا دينٌ يَجْمَعُكمْ؟ ولا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ؟ أَولَيْسَ عَجَبا أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ، فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ ولا عَطَاءٍ. وأَنَا أَدْعُوكُمْ -وأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإِسْلامِ، وبَقِيَّةُ النَّاسِ- إِلَى الْمَعُونَةِ، وطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ...»[2].

ولا غرابة أن قلنا: إن الاستفهامية هي أحد المفاصل الأساسية، التي ارتكزت عليها معظم نصوص نهج البلاغة، ومنها استفسارية، كقوله عليه السلام و هو يستفسر عن قوم من جند الكوفة، يريدون اللحاق بالخوارج: **«أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا»**[3].

ومنها (استنكارية) فحين اتهم بقتل عثمان قال عليه السلام:

«أَولَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي أَومَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي ولَمَا وَعَظَهُمُ الله بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي»[4].

---

[1] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٣/ص١٦٣/خطبة:٧٩/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

[2] نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ ص١٩٣-١٩٤/خطبة:١٧٧/ ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

[3] المصدر/ ص١٩٤/خطبة: ١٧٨.

[4] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٣/ص١٣٣/خطبة:٧٥/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

قرفه: عابه. ووزع: بمعنى كف. وهناك استفهام (وعظي) كقوله عليه السلام:

«**أَفَلا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ أَلا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ!**»[1].

فالاستفهام يشكل بؤرة بث موضوعية مركزية، تؤسس المعنى النصي. قسم منه يبث عبر حروف الاستفهام، مثلا بالهمزة، كسؤاله عليه السلام:

«**أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالاخْتِلافِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ!**»[2].

أو:

«**أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟**»[3].

أو كسؤاله عليه السلام:

«**فَهَلْ دَفَعَتِ الأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ**»[4].

ومنها ما يأتي عبر أسماء الاستفهام، مثل: أين، ماذا، بعد، متى، وكيف، كقوله عليه السلام:

«**وكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟**»[5].

كما تجد إن بعض الاستفهامات تأخذ مناحي خبرية وأخرى وصفية وسردية وأخرى استعراضية وفي كل الأحوال لابد أن ندرك إن البحث في الدلائل الاستفهامية يساهم في قراءة جادة لاحتواء جميع المحاور التكوينية في نهج البلاغة.

---

(1) المصدر/ج٢/ص١١٩/خطبة:٢٨.

(2) المصدر/ج١/ص٤٠١/خطبة:١٨.

(3) نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ص١٢٦/خطبة:١٢٦/ ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

(4) نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٣/ص٢٣٩/خطبة:٨٣/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(5) المصدر/ج١/ص٢٧١/خطبة:٤.

الألوان في نهج البلاغة

عرف الأدب العربي ما للون من حضور دلالي، يمنح المشهد الخطابي تجانسا وتمازجا، ينسجم مع البؤرة النصية للقصد الإبداعي، حيث يقول الإمام عليه السلام في نهج البلاغة:

«ومَعْرِفَة يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ والأَذوَاقِ والمَشَامِّ والأَلوَانِ والأَجْنَاسِ، مَعجُونا بِطِينَة الأَلوَان المُخْتَلِفَةِ»[1].

ومعجون: صفة إنسانية. والألوان المختلفة: الضروب والفنون، وتلك الألوان هي التي ذكرها من الحر والبرد، والبلة والجمود. فيمنح المتلقي فرصة اكبر للتأمل، لكون التعامل مع اللغة عبر العديد من الأجيال، غيّرت صبغة الكثير من الألفاظ، فمثلا قوله عليه السلام: **«وحِلِيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا»**[2].

أنوار الزهر: أي حلية القلادة. وسمط: علق عليه السموط ،وهي الخيوط التي تنتظم فيها القلادة. ويرى الشيخ محمد عبده: إن أصل سمطت، هو شمطت بالشين، إذا خلط ألوانه بلون آخر، والشميط: من النبات، ما كان فيه لون الخضرة، مختلطا بلون الزهر.

---

(1) المصدر/ج١/ص١٠٩/خطبة: ١.

(2) المصدر/ج٤/ص٩١/خطبة: ٩١.

أو كقوله عليه السلام: «**ولمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابه**»[1].

والرباب: كسحاب الأبيض المتلاحق منه، فهذه الألوان لها حمولة جمالية واجتماعية، تدخل حقل التعاطف والمشاركة الوجدانية، لتحيزات اللون، بما مطبوع في سليقة الذاكرة، عبر إيحاءات معنونة، قد تختلف عن بعض.. فالدالة اللونية، تحمل معانٍ متعددة، تستجيب لإيقاعات نفسية شعورية، وقوة إستعارية إلى بنية مفتوحة.. والإحساسات البصرية، بطبيعتها تميل إلى الأسلوب الانطباعي، المعتمد على تسجيل الانطباع الداخلي، وانعكاسات الألوان، التي تخضع إلى تغيرات طبيعية، تتناسب والتغيرات الزمانية والمكانية، والمؤثرة على طبيعة التلقي.

وقد شكلت الألوان مادة هامة في لغة الاتصال، لتساعد في تحفيز الدماغ، ويوحي كل لون إلى نمط خاص من التفكير، فالأسود الحزين فضفاض جذاب، يقول عليه السلام:

«**وكَأَنَّهُ مُتَلفِّعٌ بمعجَر أَسْحَمَ**»[2].

المعجر: التلفع، والأسحم: الأسود، وكان السواد يمثل الجماعة، كقوله عليه السلام:

والزَمُوا السَّوَادَ الأَعظَمَ فَإنَّ يَدَ الله مَعَ الجَمَاعَة وإيَّاكمْ والفرقَةَ. بينما اللون الأحمر، منشط للدورة الدموية، ويختص بضخ عاطفي شعوري، ومنه يبرق منظر الدم، يقول عليه السلام:

«**وهُوَ أَبُو الأَكبُشِ الأَرْبَعَة وسَتَلقَى الأُمَّةُ منهُ ومنْ وَلَده يَوْما أَحْمَرَ**»[3].

والأبيض: يمثل الصفاء والنقاء، ويعكس ملامح الذات، ويستخدم لعلاج الصفرة،

---

(1) المصدر.

(2) نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ص١٧٩/خطبة:١٦٢/ ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

(3) نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٣/ص١٢١/خطبة:٧٣/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

عند حديثي الولادة، ويحمل عند الكثيرين معاني الحياد والأرقام والإحصاءات، كقوله عليه السلام:

«**يَلبَسُونَ السَّرَقَ والدِّيبَاجَ**»[1].

السرق: شفق الحرير الأبيض، أو قوله عليه السلام:

«**أَبْيَضُ يَقَقٌ فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ**»[2].

واليقق: شديد البياض، وأما الأخضر- فأنه يخفف من حدة التوتر، وينسب إليه التفكير الايجابي، ويشكل مساحة واسعة للتعبير عن مكنونات الذات، كقوله عليه السلام:

«**ولَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأتِي مَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ولا اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ**»[3].

وهو يثير قريحة الإلهام والتعبير، وقد ورد في القرآن الكريم لفظ الخضرة التي تصف حال أهل الجنة.

وترى الكاتبة (سعاد جبر) في موضوعها سيكولوجية الألوان: بأن اللون الأزرق لون موجه، يمنح الاسترخاء، وارتباطه بالبحر والسماء، ولذلك يستخدم في غرف النوم، ومراكز العلاج، ويحقق عبر انزياحات اللغة السمة الجمالية.

والأصفر صفاء ذهني وفكري، وكما وصفه الله تعالى في وصف بقرة بني إسرائيل: ﴿**بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ**﴾[4].وقد أثبتت البحوث المختلفة، انه أكثر انسجاما

---

(1) المصدر/ج٥/ص٢٣١/خطبة:١٢٨.

(2) نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ص١٧٩/خطبة:١٦٢/ ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

(3) نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٢/ص٣٩٧/خطبة:٥٦/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(4) سورة البقرة/ آية: ٦٩.

مع البيئة، ولذلك تدهن الفصول الدراسية باللون الأصفر، لكونه يبعث النشاط في الجهاز العصبي، يقول عليه السلام في وصف الدنيا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله:

«**عَلَى حِينِ اصفِرَارٍ مِن وَرَقِهَا**»[1].

أو في وصفه عليه السلام للطاووس:

«**وإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّة وتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً وأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً**»[2].

وعلى كل حال، فالموروث العربي تعامل مع الصفرة بألوان متعددة، منها ما يمثل الحقد والمرض والأنانية، فإن ماهية اللون في الأدب الخطابي جزء من فاعلية العلامة، تقوم على أساس اللعبة اللونية، وكلما زاد التضاد والتوتر بين الألوان، كبرت مساحة الصورة الشعورية. فيرى بعض النقاد إن اللون له قدرة توليدية، تمنح المتلقي انطباعات ذهنية، تساهم في تجسيد هذه الإيحاءات، إذ تنعكس تلك التأثيرات الخارجية على ذهنية المتلقي، لكونه يمتلك مسبقا دلالة اللون وإيحاءاته.

---

(1) نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٣/ص٣٧٣/خطبة:٨٩/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(2) نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ص١٧٩/خطبة:١٦٢/ ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

التناص في نهج البلاغة

عرف النقد العربي ظاهرة التناص مبكرا تحت عدة مسميات مثل التضمين، والاقتباس، والاحتذاء، والإشارة. وقد أشار حازم القرطاجني الى تداخل النصوص بتصرف وتغيير. ومعنى التناص عند(مفتاح): هو عبارة عن فسيفساء تتكون من دمج عدة نصوص بتصنيفات مختلفة، سعيا الى مناقضة أو تعضيد يسميها (التآلف النصي)، ونفي التطابق عنها. ويرى(جيرار جينيت): إن الشكل الصريح للتناص هو الاستشهاد. ويسميه (محمد بينيس): النص الغائب.

ومعظم النقاد يرونه أمراً لابد منه لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة عريقة وممتدة، فالنص لا يأتي من فراغ. ومنهم من يراه ترسبات اللاوعي. وللتناص في نهج البلاغة خصوصية تجاوزت السعي الجمالي الى مهام أخرى. فالسعي الى تعميق المعنى القرآني من خلال التضمين كقوله عليه السلام:

«لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ؛ بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ ودُوَلِ الضَّلالِ»[1]

[1] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج١/ص٢٨١/خطبة:٤/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومثل هذا التضمين يحمل تلميحا لبعض اللمسات من الواقع الفعلي أواقتباسا لحكاية قرآنية، مثل قوله عليه السلام:

«فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[1] اعتَرَتهُ الحَمِيَّة وغَلبَتْ عَلَيْهِ الشِّقوَةُ وتَعَزَّزَ بِخِلقَةِ النَّارِ واسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ»[2].

والشقوة: الشقاء. وهذا يوضح بعض العمق التأويلي.ووردت الكثير من الاستشهادات القرآنية، كتلك التي وردت في معنى الحج وفضائله، وفي وصف الملائكة، ويوم القيامة والسماء مثل قوله عليه السلام:

«ولاحَمَ صُدُوعَ انفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وبَيْنَ أَزْوَاجِهَا»[3].

وهذا تناص واضح مع قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[4].**ووردت أيضا بعض الاستشهادات النصية، تطابقا للوصول الى نتيجة، مثلا استشهاده في إحدى خطبه حيث يقول عليه السلام:

«فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ ومَرَقَتْ أُخْرَى وقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا الله سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].بَلَى! والله لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْهَا،..»[6].

---

[1] سورة البقرة/ آية: ٣٤، سورة الأعراف/ آية: ١١، سوة الإسراء/ آية ٦١، سورة الكهف/ آية: ٥٠، سورة طه: آية: ١١٦.

[2] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج١/ص١١٧/خطبة:١/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

[3] المصدر/ج٤/ص٤٥/خطبة:٩١.

[4] سور الأنبياء/ آية: ٣٠.

[5] سور القصص/ آية: ٨٣.

[6] نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج١/ص٢٤٩/خطبة:١/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن خصوصيات التناص في نهج البلاغة، هي حالة التأكيد على المعنى التكويني، أي التواصل الجذري بالأنبياء، حيث كان يسميها بالأسوة كقوله عليه السلام:

«وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا... وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللهِ عليه السلام... وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ عليه السلام... وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام... فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى»[1].

وقد كان يعتمد إشاعة سنن الرسول صلى الله عليه وآله كقوله عليه السلام:

«وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ؛ وقَتَلَ الْقَاتِلَ ووَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ»[2].

ومن خصوصيات التناص في نهج البلاغة، نجد السعي واضحا لبلورة فكرة معينة، من خلال حكاية متعارف عليها عند الناس كقوله عليه السلام:

«وأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ البَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا»[3].

وسبأ: رجل عرفته العرب، وهو أبو عرب اليمن، يُقال أن له حكاية، حيث كان له عشرة أولاد يقسمهم حين يمشي يميناً وشمالا تشبيهاً لهم باليدين، وقد تفرقوا عنه.

---

(1) نهج البلاغة شرح الأستاذ الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا/ص١٧٠/خطبة:١٥٧/ ط:بيروت- دار الكتب العلمية.

(2) نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة للشيخ ناصر مكارم الشيرازي/ج٥/ص٢٠٥/خطبة:١٢٧/ ط: قم- مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(3) المصدر/ج٤/ص١٨٥/خطبة:٩٧.

أو التناص مع أمثال معروفة مثل استشهاده عليه السلام:

«**وليَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ**»[1].

والرائد: يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ، وليتعرف سهولة الوصول إليها من صعوبته، وهو يأمر الهداة والدعاة الذين يتلقون عنهم، ويوصيهم بالصدق في النصيحة. وقوله عليه السلام:

«**وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ!**»[2].

ارتكازاً على قصة قصير مولى جذيمة نصح سيده فما انتصح فقتل.

ونجد تناصات كثيرة من خلال الاستعارة أو التشبيه أو المجازات، لكي تكون قريبة من أذهان الناس فهو عليه السلام يصف السحاب:

«**قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ، تَمْرِيهِ الجَنُوبُ**»[3].

وأسف الطائر: دنى من الأرض. والهيدب السحاب المتدلي أو ذيله. وتمر به: أي مري الناقة حين يمسح على ضرعها: والمعنى دنى السحاب لثقله بالماء.

وقد وردت بعض الامتيازات الشعرية، كقول الشاعر الأعشى ميمون بن قيس بن جندل، وبعض الأبيات لشعراء معروفين ومغمورين وردت بلا أسماء شعرائها، استشهد بها الإمام عليه السلام، وردت بعض التناصات الغريبة كالنبوءات المتعددة التي شكلت النبوءة تناصا عكسياً مع القول. أو نجد هنا ذكر بعض الصفات كالبخل، والجهل، والجفاء، نجد

---

(1) المصدر/ج٤/ص٣٤٣/خطبة:١٠٨.

(2) المصدر/ج٢/ص٢٢٧/خطبة:٣٥.

(3) المصدر/ج٤/ص٩١/خطبة:٩١.

فيها تناصات متوارية عن التشخيص الكامل ابعاداً للفتنة، وعلى ذكر التناصات، فهناك طرفة (التناص المسروق) حين حاول البعض إدعاء بعض الخطب على أنها لمعاوية، فانتقدهم الجاحظ على فعلتهم، والكثير من النقاد والعلماء، ورفض هذا القول جملة وتفصيلاً.

الفهرس

مقدمة ١

بلاغية المفردة والنهج الرصين في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٣

فن السجع في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٧

فن التشبيه في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ١١

فن الإختزال في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ١٧

التوثيقية في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٢١

علم الدلالة في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٢٥

الترادف في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٢٩

الاسلوبية في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٣٣

استخدامات (كان) في بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٣٩

الصورة الفنية في بلاغة الإمام علي عليه السلام..... ٤٣

المكانية في نهج البلاغة..... ٤٧

الاستفهامية في نهج البلاغة..... ٥٣

الألوان في نهج البلاغة..... ٥٧

التناص في نهج البلاغة..... ٦١

الفرس..... ٦٧